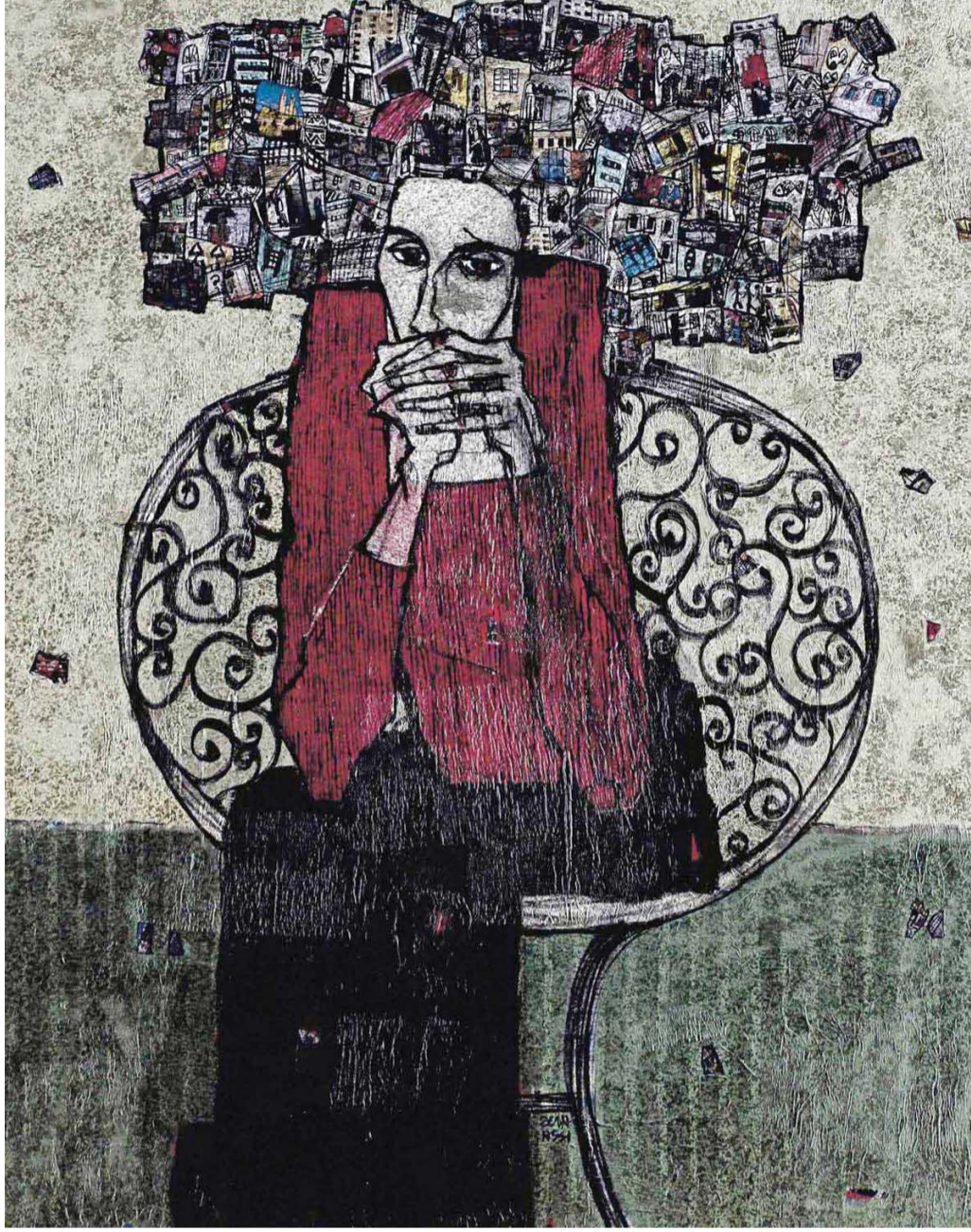


# الرواية مسرح أفكار بطلتها حكيمة تتفلسف في كل شيء

«السجينة 48».. رواية عُمانية تناقش إشكاليات فكرية معاصرة



امرأة ترى العالم بشكل أوضح (لوحة للفنانة زينة عاصي)

تقولها السجينة للكاتب "هل تعتقد بأنه سيخرجني الحب والسطر والورقة من مكائد المتفكرين من عذابات السجن، كما تشير مالات الرواية إلى ذلك العجز؛ فالحكم يصدر ضد السجينة بينما الكاتب يتلقاه بأسنى عاجز.

يحمل على عاتقه إضاعة مواطن العتمة في بلاده، وتسلط الضوء على مشكلات رايته العربي الملتبس، وفي ذلك إشارة أيضا إلى عجز المثقف العربي عن القيام بتغيير مؤثر أو تبديل للأوضاع القائمة، يتجلى ذلك من خلال جملة

يغدر في حبه يقتل روح من أحبه، فالذي يمتدح الحب قد يمتدح الموت".  
ومثلما تشير السجينة في الرواية إلى الأمة العربية المنكوبة بأزماتها منذ عقود، فإن الكاتب الذي يحاورها ويستنطقها يشير إلى المثقف الذي

ويحاضر يملؤه الخدر والياس والقنوط والوهم.. علينا أن ننطق نحو المستقبل متخففين من أعباء الماضي وقداسته، فللمستقبل نوافذ من البلور عندما تفتحها فانت ستشكل المصير وتبني الحياة بطريقة صحيحة، وتردم ولو قليلا من الهوة المعرفية والتكنولوجية بينك وبين الأمم الأخرى".

## حال المرأة

تحتل قضايا المرأة العربية مكانا أساسيا في الرواية، فالقضايا الفكرية الشائكة تُثار من خلال امرأة وليس رجلا مثلما يشيع ذلك، فضلا عن أنها تعرضت للوضع المتدنية التي تقع فيها المرأة العربية محطلة ذلك بقولها "إن المسافات بين الجنسين معنا مُفخخة بالأنا المتضخمة لدى الرجل، هناك حقول شاسعة من الأوهام برمجها في عقولنا المجتمع الذي يقوده الرجل، فالحقوق التي نتحدث عنها ليست سوى الخطوط الحمراء المنسوبة للدين والعادات والتقاليد التي أوجدها الرجل، وهي لا تنم عن حقيقة الدين في شيء بل هي أثواب فصلها ليرضي أناه المتضخمة والمتكسرة بالغرور..".

يُنطق الكاتب بطلاة روايته صراحة بالأفكار التي يود طرحها، فهي الحكمة المفقودة أو "الفيلسوفة" التي تمتلك رؤية لكل شيء على المستوى الفردي والجمعي، وهو أمر قد يكون إشكاليا في عمل أدبي من المفترض أن يقوم على إحكام خيوط المتخيل، لكنه يتجاوز ذلك ليمعن التركيز على القضايا الفكرية بشكل مباشر وواضح.

تطرح السجينة آراءها وتصورها للواقع الفكري وفي الوقت ذاته تمتلك رؤية لقضايا حياتية وجمالية في الحق والحب والجمال والتسامح، فتقول مثلا "الجمال هو السرب الصحيح للوصول إلى الله، الجمال أن تجذف بأمالك وطموحاتك وتفاؤك في موج ملامح من السراب والجراح والألم..". وتقول عن الحب "هو الذي يجعلنا نزرع الأحلام في غيمات مُطرمة تسقي كل الأماكن في طريقها.. يجب أن يعلم المحب أن الإخلاص في الحب هو الخلاص من أثقال الحياة ومن

مثلما ينجح العمل الأدبي إلى التخيل بحثا عن آفاق رحبة يؤسس فيها معماره، فإن الروائي يظل مشدودا إلى قضايا الواقع وانشغالاته التي تُلج عليه في عوالمه الأدبية المتخيلة، ليصير العمل الأدبي مُعبّرا عن أفكار ترتبط بقضايا المجتمع وقيمه الإنسانية. من هذا المنظور يمكن قراءة رواية "السجينة 48" الصادرة حديثا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر للروائي العُماني خليل خميس.

خليل خميس  
كاتبة مصرية



من خلال حوار يدور بين كاتب يُدعى "عُمر" وصديقه الناشر "نعيم"، تبدأ أحداث رواية "السجينة 48" لتروي قصة امرأة تدعى "راشدة" أودعت السجن بسبب تهمة قتل مُفخخة.

تكتشف أفكار الرواية وموضوعها لا من خلال أحداث خطية تقليدية ولكن من خلال ذلك الحوار المتبادل الذي يستند إلى استحضار مقابلات ورسائل يسع الكاتب إلى نشرها في كتاب تخليدا لامرأة استثنائية في نظره، وهو ما يمنح الكاتب مساحة أوسع للتعبير عن أفكاره.

## حديث مع سجينة

يقود الحوار القصير بين الكاتب والناشر إلى استدعاء الرسائل المتبادلة بين الكاتب والسجينة، وكذلك استدعاء الحوارات المتبادلة بينهما في سجنها على مدار ثمانية أشهر، والتي جاءت بعدما طلب منه جهاز الأمن استخراج الاعترافات الحقيقية منها لكن ذلك الطلب قاده إلى اكتشاف أبعاد أخرى لتلك الشخصية تتجاوز وضعها القائم إلى حقيقتها المُغَيَّبة والغائبة، لتنتهي الرواية بخبر يُطالعه عُمر في الصحيفة بشأن صدور الحكم في قضية السجينة دون تحديد واضح له.

من أبرز النقاط التي ركزت الرواية على مناقشتها في الحوار بين الكاتب والسجينة الحديث حول الزمن

لا تقتصر الرواية على ذلك الجانب الحدتي البسيط والواضح تماما، والذي عمد الكاتب إلى تجنب التركيز عليه بغيّة

## شاعرة تستحضر آباءها ليعيدوا تكوين العالم

أما ندى أنسي الحاج فهي شاعرة وصحافية، مواليد بيروت. صدر لها "صلاة في الريح" 1988، "أنامل الروح" 1994، "رحلة الظل" 1999، "كل هذا الحب" 2001، "غاية الضوء" 2002، "خفّة قمر يهوي" 2006، "أثواب العشق" 2010 (ترجم إلى الإيطالية)، وصدور عن دار النشر "إنترلينيا"، وإلى الفارسية، "تحت المطر الأزرق" 2015.



«عابر الدهشة» قصائد تكتب من خلالها ندى الحاج سيرورتها مفتحة من ذاتها إلى عوالم أبعد بكثير

ترجمت بعض قصائدها إلى الإنجليزية، ونشرت في أنطولوجيا شعرية بعنوان "شعر نساء عربيات" أعدتها الباحثة والشاعرة الفلسطينية ناتالي حنظل. أيضا ترجمت قصائدها إلى الفرنسية والإسبانية والألمانية.

ميلانو (إيطاليا) - في مجموعتها الشعرية الجديدة "عابر الدهشة"، تمنح الشاعرة اللبنانية ندى الحاج الشعراء أحقية إعادة صنع العالم، بعد خرابه، أو ربما بعد طوفان قادم، تصبح على إثره الأرض زرقاء، ويعود فيه الحب، بصفته عابرا للدهشة وصانعا لها، حيث تقول: سيعيد الشعراء خلق العالم، وتفرح الأرض بالزرقعة/ ويسير الحب في طريقه من المنبع وإليه/ طائرا عابرا للدهشة.

بالحروف، تلك الكائنات الصغيرة، بارواحها الكبيرة وقدرتها على تفكيك أسرار الكون، تكتب ندى الحاج سيرورتها على صفحات هذا الكتاب، سيرورة تنفتح من ذاتها إلى عوالم أبعد بكثير زمانيا ومكانيا.

تستند الشاعرة، على جدران صلبة، لتدخل في دوامة لذينة من البوح الصافي، إذ تسبق قصائدها عتبات لمن سكنوا في قلب العاصفة، عاصفة السؤال واللغة، وحيرة الإنسان وكيونته، من شعراء يتقدمهم طيف الأب في صور شئني، متصوفة وعشاق وحيارى ودراويش ومجانين، كانت لهم ميزة الإصغاء لهذا الكون. جاء في إحدى العتبات، لأنسي الحاج "لم أر أوضح من أحلامي"، ولنا أن نتساءل، نحن الذين تعجننا الآلة كل يوم، كيف للرقعة أن تكون حلما واضح الملامح، شرسا في طريقه إلى التحقق؟

ونذكر أن "عابر الدهشة" هي المجموعة التاسعة لشاعرة، وقد صدرت حديثا عن منشورات المتوسط-إيطاليا.

## قصة طلاب تونسيين نفاهم النظام إلى الصحراء

ووفق الرواية، كان المعتقل مقسما بحسب الأيديولوجيات، فكانت هناك خيام تجمع الطلبة الإسلاميين وخيام أخرى تجمع اليساريين من تيارات ماركسية مختلفة، وبعض القوميين وجماعة "الحياد" غير المنتهين مثل راوي القصة.

المعتقل شكل مزيجا وفسيفساء فكرية من جيل حاول أن يرث بورقبة عبر مفاهيم متصارعة ولكنها منسجمة في هدف التغيير.

عمار الجماعي لم يكن منتميا إلى أي تيار سياسي، وإنما كان يرفض طغيان النظام واحتقاره لأهل الجنوب وتمهيشهم، وهو المنحدر من منطقة الحامة بمحافظة قابس جنوب شرقي البلاد.

الرواية لم تقتصر على تجربة الراوي فقط، وإنما تنطق إلى علاقته الإنسانية والشخصية ببعض الطلبة ممن كانوا رفاقه في الكفاح، وأصبحوا من بعد سياسيين بارزين على غرار شكري بلعيد، القيادي اليساري الذي اغتيل عام 2013، وسالم الأبيض، النائب عن حركة "الشعب" ومحسن مرزوق، رئيس حزب "مشروع تونس".

كما أراد الراوي من خلال الحديث عن تجربته أن يكرم رفاقا له أغلظهم التاريخ مثل حمادي حبيق الذي وصفه بـ"شهيد الحركة الطلابية"، حيث توفي عطشا في الصحراء خلال محاولته الفرار من المعتقل حينها.

رواية تدفع بالوعي الجماعي التونسي إلى ضرورة استحضار فصول قريبة من تاريخه فيها، تمازج بين السياسي والاجتماعي والثقافي.

تلقت فيها، آنذاك، جميع مشارب الفكر والأيديولوجيات في الجامعة التونسية. الجماعي وجد في الكلية مناخا مثمرا ورحبا للحرية ليعبر فيه عما يخالجه ذاته وما يعتمل في قريحته، مما جعله يلعب الحاكم بطريقة مباشرة كلفته أشهرها من حياته في المنفى.

وتسير الرواية أغوار تجربة الاعتقال التي انطلقت في البداية بسجنه في سراديب وزارة الداخلية وسط العاصمة، وتعذيبه، مروراً بمرحلة ثانية في الإصلاحية العسكرية بمنطقة "قرعة بوفليجة" في صحراء محافظة قابس، جنوب تونس، حيث وقع تدريبه بطريقة قاسية ولا إنسانية، وصولاً إلى مرحلة ترحيله إلى معتقل رجيم معتوق الصحراوي حيث بدأت المعاناة.

لا تجسد الرواية معاناة كاتبها فحسب، وإنما تجسد كذلك معاناة آخرين مثله، حيث توثق لمرحلة من تاريخ تونس بعد الاستقلال (1956)، وعرت وجهها الدكتاتوري بطريقة سردية متقنة تمكن من خلالها الكاتب من رصد تفاصيل الحكاية الواقعية بشكل فني.

دخل الراوي المعتقل في ربيع عام 1987 قبل أشهر من انقلاب بن علي على نظام بورقبة، في 7 نوفمبر من نفس العام، وخرج منه عقب حصوله على عفو خاص.

الجماعي وصف المعتقل بـ"المنفى الصحراوي الذي كانت تغيب عنه جميع مقومات الإنسانية".

وأختر عهد الحبيب بورقبة (حكم من 1956 إلى 1987).

و"رجيم معتوق" تقع على بعد 120 كلم عن مدينة قبلي قرب الحدود التونسية الجزائرية، قد أقيمت فيها ثكنة عسكرية، اعتقل فيها المئات من الطلبة من قبل النظام التونسي زمن حكم بورقبة وبن علي في ثمانينات القرن الماضي.

عمار الجماعي؛ كاتب الرواية واحد من أبطالها في نفس الوقت تم تجنيده بطريقة قسرية، عام 1987، عندما كان طالبا في السنة الثانية من المرحلة الجامعية في اختصاص الأدب العربي، وذلك لمعاقبته على خلفية خطاب ألقاه في ساحة جامعة منوبة بالعاصمة، انتقد فيه نظام بورقبة ووصفه بـ"القمعي" و"الظالم".

"جراحة" ترجمت مسعى مبحث الانتعاق من الدكتاتورية التي كانت نقطة

## مروري الساحلي

تونس - مئات الطلبة من تيارات فكرية مختلفة، اعتقلتهم السلطات التونسية في عهدي الرئيسين الراحلين الحبيب بورقبة وزين العابدين بن علي، واستبعدتهم إلى منفي بمنطقة نائية في تجنيد عسكري عقابي، سعيا إلى إخضاع احتجاجات طلابية.

رحلة معاناة إلى معتقل ناء لتجنيد العقابي استعرضها الروائي والشاعر التونسي عمار الجماعي، في روايته الجديدة "الطريق إلى معتوق" رجيم معتوق".

وتروي الرواية، الصادرة مؤخرا عن دار "ورقة" للنشر بتونس، تجربة اعتقال عاشها الراوي صحية مجموعة من رفاقه في منفي بمنطقة "رجيم معتوق" النائية بقاصي جنوب الصحراء التونسية، في



صورة حقيقية لشخصيات روائية